قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص(٣)، يونيو، حزيران ٢٠١٩م، ص٦٩-١٣٨

© ٢٠١٩ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

شخصية المرأة من خلال القصص المتعلقة بالنساء في القرآن الكريم في تفسير ظلال القرآن

حسنى حسين[١]

(The Personality of Women in the Quranic Stories Related to Women Based on Tafsir Fi Zilal Al-Quran)

Husna Husain

ABSTRACT

Qutb is an influential character towards Muslims from all the Arab and Muslim world. It is known that he closely enganged with the justice movement and social reform and calls for a return to proper Islamic beliefs and ways in life. However, rarely known his thoughts on issues concerning women, especially his views on a woman's personality. The aim of this article is to identify his views on women's personality by observing his interpretations on Quranic stories. This analytical approach study focusing on the texts in *Tafsir Fi Zilal Al-Quran* as a premier source to highlight that characterize Sayed Qutb's views about women's personality based on the texts contained in the interpretation. It is concluded that Sayed Qutb clarify that the positive woman's personality is overcome the negative behaviour through his interest in *al-taswir al-fanniyy* in Quranic stories. He also does not draw all Quranic stories women characters but only gives features with clear effect on reality.

Keywords: *Personality of women, Quranic Stories, Sayyid Qutb.*

[1] Universiti Pendidikan Sultan Idris (UPSI), husnahusain@fsk.upsi.edu.my

ملخص

عرف سيد قطب بشخصيته الإسلامية، وظهر له تأثير على المسلمين بمختلف فئاتهم على امتداد العالم العربي والإسلامي بل في كثير من دول العالم قاطبة. ومن المعروف أنه اشتهر بدعوة على العدالة والإصلاح الاجتماعي وإصلاح المجتمع ويدعو إلى العودة إلى المعتقدات الإسلامية الصحيحة. ولكن نادرا ما نعرف من أفكاره بشأن المسائل المتعلقة بالمرأة، خاصة في وجهات نظره على شخصية المرأة. هدفت هذه المقالة إلى التعرف لآراء سيد قطب حول شخصية المرأة من خلال النظر في تفسير في ظلال القرآن للآيات المتعلقة بالنساء الواردة في القصص القرآني أو في السنة النبوية الشريفة، مع النظر في آراء المفسرين على اختلاف عصورهم. وقد تم الكشف عن كل هذا من خلال تأمل ودراسة النصوص الواردة في التفسير واستخلاص الآراء من خلالها. استخدمت الدراسة المنهج التحليلي، لدراسة الموضوع والوقوف على أبرز نتائجه التي تميز رؤية سيد قطب حول شخصية المرأة مستندة إلى النصوص الواردة في التفسير. وخُتمت المقالة بتوضيح أن شخصية المرأة هي السلوكية الإيجابية وليست السلبية من خلال اهتمامه بالتصوير الفني في القصص القرآني. وهو أيضا لم يرسم كل شخصيات المرأة في القصص القرآني إلا الشخصية التي تعطي أثرا واضحا للواقع.

كلمات دالَّة: شخصية المرأة، القصص القرآني، سيد قطب.

١. مقدمة

بحث العلماء المعاصرون[١] في القصص القرآني بحثا مفصلا[٢]، وقد عرَّفوا القصص القرآني بأنها تلك التي يجب حصرها في الأخبار الماضية على وقت نزول القرآن الكريم، وليست حصرا في أخبار الأنبياء عليهم السلام، بل تتعدى ذلك لتشمل ما جاء من قصص في القرآن الكريم؛ كقصة أصحاب الكهف، وأصحاب الجنة، وأصحاب الأخدود، وقصة طالوت وجالوت وغيرها. كما أن السيرة النبوية لا تعد من قبيل قصص الأنبياء؛ لأنها ليس من الماضي الذي حدث قبل نبوته – ﷺ– بل هي أحداث واقعة في حياتهم اليومية [٣].

فالمرأة في القصص القرآني تظهر شخصيتها من خلال كونها منفردة رئيسية في القصة كما في قصة امرأة عمران، ومريم بنت عمران، أو أنها شخصية مساعدة في قصة ملكة سبأ، أو قصة أم موسى، أو قصة ابنتي الشيخ الكبير، أو قصة امرأة العزيز، أو أنها شخصية قل ذكرها في القصة كما في قصة امرأة فرعون وامرأة إبراهيم وامرأة نوح وامرأة لوط وامرأة زكريا.

وعلى أية حال، فكل هذه الشخصيات لها دور تلعبه في القصة، وعبر تستفاد منها كما ذكر وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في هذا المقام كلاما حيث يقول، "فالمرأة في القصص القرآني لا تستجلب لغاية غير العبرة والعظة، ولا تأخذ مكانا في القصة إلا حيث تكون درسا مستفادا في الدعوة إلى الخير والعدل والإحسان، وفي التنفير من الشر والبغي والعدوان" [٤].

إن القصص القرآني وحي إلهي له هدف، وليس مجرد سرد للتاريخ أو تسلية للنبي – ﷺ– أوالمتعة الفنية له فحسب، وهو في كل خصائصه ومناهجه ومميزاته جاء لأغراض دينية ولغاية دعوية في الإسلام.

---

[١] من الكتب التي تتحدث عن القصص القرآني؛عبد الكريم الخطيب، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ط١، ١٩٦٤م، حجازي، محمد محمود حجازي، **القصص القرآني في القرآن الكريم**، مكتبة دار التفسير، مصر، ١٩٧٠م، الخالدي، صلاح، **القصص القرآني: عرض، وقائع وتحليل أحداث**، دار القلم، دمشق، ١٩٩٨م، و العدوي، محمد خير محمود، **معالم لقصة في القرآن الكريم**، دار العدوي، عمان، ١٩٨٨م.

[٢] سليمان محمد الدقور، **المنهج في القصص القرآني**، دار القطوف للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١٥.

[٣] المصدر نفسه، ص٢٦.

[٤] الخطيب، عبد الكريم، **قصتا آدم ويوسف عليهما السلام**، ص٤٨.

وقد ذكر سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن عن هذا الغرض من القصص القرآني حيث يقول، "القصة في القرآن ليست عملا فنيا مستقلا في موضوعه، وطريقة عرضه وإدارة حوادثه — كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق– إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وشأن الأدلة التي يسوقها على البعث وعلى قدرة الله، وشأن الشرائع التي يفصلها والأمثال التي يضربها... إلى آخر ما جاء في القرآن من موضوعات. وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريق عرضها وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية"[١].

ومن الأهداف التي ذكرها القرآن الكريم بشكل صريح ثلاثة أهداف للقصص القرآني حيث نص عليها في سياق حديثه عن بعض قصصه:[٢]

الهدف الأول: الدعوة إلى التفكر بشحذ العقول والأفكار. وقد ورد هذا الهدف في قوله تعالى ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف:١٧٦). إذن من أهداف القصص القرآني دعوة الناس إلى التفكر والاتعاظ.

الهدف الثاني: تحقيق الاعتبار والاتعاظ، كما في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(يوسف:١١١). وذكر سيد قطب عن هذه الآية التي جاءت في تعقيب قصة يوسف– عليه السلام - في الآية الأخيرة من السورة، "وفي قصة يوسف ألوان من الشدائد في الجب وفي بيت العزيز وفي السجن. وألوان من الاستيئاس من نصرة الناس.. ثم كانت العاقبة خيراً للذين اتقوا– كما هو وعد الله الصادق الذي لا يخيب– وقصة يوسف نموذج من قصص المرسلين، فيها عبرة لمن يعقل، وفيها تصديق ما جاءت به الكتب المنزلة من قبل، على غير صلة بين محمد وهذه الكتب. فما كان يمكن أن يكون ما جاء به حديثاً مفترى. فالأكاذيب لا يصدق بعضها بعضاً، ولا تحقق هداية، ولا يستروح فيها القلب المؤمن الروح والرحمة"[٣].

---

[١] سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٩٨٢م، ص١١٧.

[٢] ينظر: سليمان محمد الدقور، **المنهج في القصص القرآني**، ص٣٢-٣٤.

[٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٠٣٧.

الهدف الثالث: تثبيت فؤاد النبي– ﷺ –كما جاء في الآية ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(هود: ١٢٠). إن هذه القصص يزيد يقين النبي – ﷺ – على أنه على الحق، ويثبت فؤاده أنه ليس وحده من سار على طريق الدعوة والرسالة وواجه فيها من آلام وشدة بل سبقه الأنبياء المرسلين في ذلك.

٢. النساء اللاتي نزل في شأنهن قرآن

جاءت آيات قرآنية في معالجة شأن من شؤون المرأة زمن تنزُّل الوحي؛ وقد وردت من الآيات في النساء في العهد النبوي ما يأتي:

– ما نزل في شأن حادثة الإفك في سورة النور من الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ.﴾(النور: ١١–٢٦). نزلت هذه الآية بعد ما بين الله أحكام قذف المحصنات وأحكام قذف الزوجات (اللعان)، وبين الله عظم هذا الأمر وعقوبته كما بين براءة السيدة عائشة – ﵂ – مما رماها به أهل الإفك والبهتان. يقول سيد قطب في سياق هذه الآية "وبعد الانتهاء من بيان حكم القذف يورد نموذجا من القذف، يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته وهو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم، وعرض رسول الله– ﷺ– أكرم إنسان على الله، وعرض صديقه الصديق أبي بكر– ﵁– أكرم إنسان على رسول الله– ﷺ– وعرض رجل من الصحابة– صفوان بن المعطل –﵁– يشهد رسول الله أنه لم يعرف عليه إلا خيرا.. وهو يشغل المسلمين في المدينة شهرا من الزمان.".."[١]

أن القرآن كلام الله وأن الرسول لم يكن ليأتي بشيء من القرآن من تلقاء نفسه. وفي هذا قال د. محمد عبد الله دراز تعقيبا لهذا الحديث، "فماذا كان يمنعه – ﷺ – لو أن أمر القرآن إليه أن يتقول بكلمات حاسمة ليحمي بها عرضه ويذود به عن حياضه ويذُب بها عن عرينه، وينسبها إلى الوحي السموي لتنقطع ألسنة المتخرصين؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله"[٢].

---

[١] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٤٩٤.

[٢] عبدالله دراز، محمد، **النبأ العظيم**، دار القلم، كويت، ١٣٩٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٤.

ويرى سيد قطب أن هذه القضية وصفت جانبا تربويا يقوم على خبرة بمداخل النفس البشرية ومكامنها والله يعلم وأنتم لا تعلمون [١].

– زواج الرسول – ﷺ – من زينب بنت جحش في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (إلى آخر الآيات) (الأحزاب: ٣٦-٤٠)

زواج الرسول – ﷺ – من زينب بنت جحش حدث هام من الأحداث التي تحدث عنها القرآن الكريم نظرا لما يتعلق بدروس وعبر وحكم. تزوج زيد من زينب امتثالا واستجابة لذلك التوجيه الإلهي، لكن الحياة الزوجية لم تكن هادئة، إذا لم تنسجم زينب مع هذه الحياة الزوجية حيث كانت زينب لم تتلائم مع هذه الحياة الزوجية. وشاءت إرادة الله أن يطلق زيد زينبا ثم يتزوجها الرسول – ﷺ – ليبطل ما فهم عليه الناس من تحريم زوجة المتبنى على المتبني.

يبدو من هذه القضية الأقوال بالنسبة للآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾بأن ما قاله بعض المفسرين، من أن ما أخفاه في نفسه – ﷺ – وأبداه الله تعالى، هو وقوع حب زينب في قلبه – ﷺ –ومحبته لها، وهي زوجة لزيد، وأنها سمعته يقول عند ما رآها: سبحان مقلب القلوب.. إلى آخر ما قالوا كله لا صحة له.

فقال صاحب الظلال: وهذا الذي أخفاه النبي صلّى الله عليه وسلّم في نفسه، وهو يعلم أن الله مبديه، هو ما ألهمه الله أن سيفعله. ولم يكن أمرا صريحا من الله. وإلا ما تردد فيه ولا أخره ولا حاول تأجيله. ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه. ولكنه صلى الله عليه وسلّم كان أمام إلهام يجده في نفسه، ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ومواجهة الناس به حتى أذن الله بكونه. فطلق زيد زوجه في النهاية. وهو لا يفكر لا هو ولا زينب فيما سيكون بعد". [٢]

فهذا الكلام جميعه يهدم هدما تاما كل الروايات الباطلة التي رويت عن هذا الحادث.

---

[١] ينظر: سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٥٠٣.

[٢] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٨٩٦.

– ما نزل في شأن أمهات المؤمنين في سورة التحريم: هذه الآيات الكريمة في التحريم نزلت تعقيبا على ما حدث في بيت النبوة، حيث حرم رسول الله – ﷺ – على نفسه شيئا ما أحله الله له. وأسرّ بذلك إلى إحدى زوجاته وهي حفصة فنبأت به عائشة فنزل القرآن الكريم بآيات فيها عتاب للنبي – ﷺ – وتوجيه لأمهات المؤمنين — رضي الله عنهن –.

وقد وصف سيد قطب هذه السورة بقوله "وهذه السورة تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله– ﷺ– وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته– ﷺ– وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك.. ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه"[١].

ويمكن أن نقول إذا عاتب الله رسوله الكريم –ﷺ – بسبب تحريمه على نفسه ما أحله الله له ابتغاء مرضات أزواجه، فما بال أولئك الذين يسعون إلى رضا زوجاتهم بارتكاب المحرمات وفعل المنكرات؟

– ما نزل في شأن خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت في سورة المجادلة من الآية (١-٤).

كان الظهار في الجاهلية أمرا شائعا. وقد حدث في عهد الإسلام، وظاهر(أوس بن الصامت) من زوجته (خولة بنت ثعلبة)، ثم بدا له بعد ذلك أن يواقعها فلم تمكنه من نفسها وذهبت إلى رسول الله – ﷺ – تستفتيه في هذا الأمر فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

– امتحان المؤمنات المهاجرات وبيعة النساء في سورة الممتحنة في الآيات﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ إلى آخر الآيات، (الممتحنة:١٠-١٢)

قد قيل إن هذه الآيات مخصصة لما جاء في معاهدة صلح الحديبية، والتي كان فيها من جاء من الكفار مسلما إلى المسلمين ردوه إلى المشركين، ومن جاء من المسلمين كافرا للمشركين، لا يردونه على المسلمين، فأخرجت الآية النساء من المعاهدة،وأبقت الرجال [٢].

---

[١] المصدر نفسه، ج٦، ص٣٦١٠.

[٢] ينظر: سيد طنطاوي، **تفسير الوسيط**، ج١٤، ص٣٣٩.

وبعد أن بين الله تعالى حكم النساء المؤمنات المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، أتبع ذلك بأمر النبي – ﷺ – بمبايعتهن وغيرهن على عدم الإشراك بالله تعالى، وعلى اجتناب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

– **أم جميل امرأة أبي لهب** في سورة المسد في الآيات ﴿سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (المسد:٣–٥). وإذا تأملنا في هذه السورة الكريمة، رأيناها اشتملت على أوضح الأدلة وأبلغ المعجزات الدالة على صدق النبي – ﷺ – فيما يبلغه عن ربه، فإن الله تعالى قد أخبر بشقاء أبي لهب وامرأته. وأنهما سيصليان نارا ذات لهب، وقد علما بما جاء في هذه السورة من عقاب الله لهما، ومع ذلك فقد بقيا على كفرهما حتى فارقا الحياة، دون أن ينطقا بكلمة التوحيد [١].

رأى سيد قطب أن الأداء التعبيري للسورة فيه تناسق دقيق ملحوظ مع موضوع السورة وجوها. ولذلك يقول، "وهكذا يلتقي تناسق الجرس الموسيقي، مع حركة العمل الصوتية، بتناسق الصور في جزئياتها المتناسقة، بتناسق الجناس اللفظي ومراعاة النظير في التعبير، ويتسق مع جو السورة وسبب النزول. ويتم هذا كله في خمس فقرات قصار، وفي سورة من أقصر سور القرآن.

هذا التناسق القوي في التعبير جعل أم جميل تحسب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد هجاها بشعر"[٢].

٣. شخصية المرأة عند سيد قطب

يبدو أن كثيرا من العلماء المعاصرين اعتمدوا اعتمادا كليا على ما ذكره سيد قطب في كتابه (التصوير الفني في القرآن) عند حديثهم عن القصص القرآني وأبرزوا تأثير سيد قطب في هذا الجانب [٣]. وفي الحديث عن شخصيات القصص القرآني، فقد أنشأ سيد قطب بابا خاصا في هذا الموضوع في كتابه التصوير الفني في القرآن أبرز فيه ألوانا من التصوير المتعلقة بالقصة القرآنية. وحدّد سيد قطب التصوير

---

[١] ينظر: سيد طنطاوي، **تفسير الوسيط**، ج١٥، ص٥٣٧.

[٢] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٦، ص٤٠٠٠.

[٣] ينظر: سليمان محمد الدقور، **المنهج في القصص القرآني**، ص٦٨. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٩٣٦.

في مشاهد القصة من خلال ألوان بينها بقوله ؛ الأول، لون يبدو في قوة العرض والإحياء، والثاني، لون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات والثالث، لون يبدو في رسم الشخصيات. وهذه الألوان متداخلة بعضها من بعض إلا أن يكون أحدها يبرز في بعض المواقف ويظهر على الآخر [١].

وتعد الشخصية البشرية الشخصية الرئيسة في أحداث جميع القصص غير أن تكون هناك شخصيات غير بشرية كما ورد ذكر الملائكة والهدهد والنمل والحمار وغيرها. وأما الشخصية البشرية فهي متعددة منها الصالحة ومنها المفسدة ومنها شخصية الرجل وشخصية المرأة إلى غير ذلك من الأنواع والمجالات.

على أية حال، فقد كانت شخصية المرأة في القصص القرآني والمرأة في العهد النبوي شخصية واقعية، وليست مختلقة وتتناسب مع فطرتها التي فطر الله الناس عليها كالأم والزوج والإنسان الذي لا يخلو من العواطف الإنسانية والخطأ والهوى. وإضافة إلى ذلك لم يقصد بذكرها الإثارة أو إيقاظ الغرائز والشهوات وإنما محورها العام الجنس [٢].

ونلحظ أن سيد قطب لم يرسم كل شخصيات القصص القرآني إلا عند الحاجة إليها بما يتناسب مع سياق القصة كما يعمل على إظهار الشخصيات الإيجابية فحسب وعدم إبراز شخصية المرأة المفسدة إلا مع وجود النص يكشفها، كما يرتكز على نمط آخر مهم كما يظهر في الأمثلة الآتية:

٣-١ قصة يوسف مع امرأة العزيز: ذكر سيد عند تفسيره قوله تعالى﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ، وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ!﴾(يوسف:٢٣) قال معقبا واصفا جانب المراودة والإغواء " فقد كانت المراودة في هذه المرة مكشوفة، وكانت الدعوة فيها سافرة إلى الفعل الأخير.. وحركة تغليق الأبواب لا تكون إلا في اللحظة الأخيرة، وقد وصلت المرأة إلى اللحظة الحاسمة التي تهتاج فيها دفعة الجسد الغليظة، ونداء الجسد الأخير:﴿وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ﴾ "[٣].

نرى في هذا التفسير أنه لم يرتكز على رسم شخصية امرأة العزيز بل يبدو للقارئ على قوة العرض والإحياء الحدث. وكذلك في ما يذكر بعده حيث يقول، "هذه الدعوة السافرة الجاهرة الغليظة

---

[١] ينظر: سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص١٩٠.

[٢] ينظر: المصدر نفسه، ص٦٠.

[٣] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٤، ص١٩٨٠.

لا تكون أول دعوة من المرأة. إنما تكون هي الدعوة الأخيرة.وقد لا تكون أبداً إذا لم تضطر إليها المرأة اضطراراً. والفتى يعيش معها وقوته وفتوته تتكامل، وأنوثتها هي كذلك تكمل وتنضج، فلا بد كانت هناك إغراءات شتى خفيفة لطيفة، قبل هذه المفاجأة الغليظة العنيفة"[١].

ويبدو من خلال وصف سيد الموقف بغلظته والإيماءات الخفيفة التي كانت بين ثنايا الموقف ذات تخييل عواطف وانفعالات برزت من خلال أحداث رسم الموقف القصصي. وتعقيبا على القصة عند رسم المشهد الأخير من محنة السجن ومحنة الاتهام ليوسف تقرر المرأة شهادتها الكاملة على نظافته وصدقه وبراءته، وبهذا الرسم تظهر الشخصية الإيجابية لامرأة العزيز، ولعل هذا أجمل توجيه حين وصف هذه المرأة بالإخلاص لمشاعرها حتى آخر لحظة وأن نفي الخيانة التي فعلتها حيث يقول، " يشي السياق بحافز آخر، هو حرصها على أن يحترمها الرجل المؤمن الذي لم يعبأ بفتنتها الجسدية. أن يحترمها تقديراً لإيمانها ولصدقها وأمانتها في حقه عند غيبته: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ (يوسف:٥٢)..ثم تمضي في هذه المحاولة والعودة إلى الفضيلة التي يحبها يوسف ويقدرها:﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف:٥٢)وتمضي خطوة أخرى في هذه المشاعر الطيبة:﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي، إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(يوسف:٥٣)إنها امرأة أحبت. امرأة تكبر الرجل الذي تعلقت به في جاهليتها وإسلامها، فهي لا تملك إلا أن تظل معلقة بكلمة منه، أو خاطرة ارتياح تحس أنها صدرت عنه!" [٢].

٣-٢ قصة امرأة أبي لهب: يلحظ أن سيد قطب لم يلمِز شخصية أم جميل في سياق تفسيره آيات سورة المسد؛ حيث يقول: " وبخاصة حين انتشرت هذه السورة وما تحمله من تهديد، ومذمة وتصوير زري لأم جميل خاصة، تصوير يثير السخرية من امرأة معجبة بنفسها، مدلة بحسبها ونسبها، ثم ترتسم لها هذه الصورة: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ (المسد:٤-٥) وروى الحافظ أبوبكر البزار- بإسناده- عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ﴾(المسد:٤-٥) جاءت امرأة أبي لهب، ورسول الله - ﷺ - جالس ومعه أبوبكر. فقال له أبو بكر: لو تنحيت لا تؤذيك بشيء! فقال رسول الله - ﷺ -: (إنه سيحال بيني وبينها).. فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر،

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] المصدر نفسه، ج٤، ص١٩٩٦-١٩٩٥.

هجانا صـــاحبك. فقال أبو بكر: لا ورب هذه البُنَّية ما ينطق بالشـــعر ولا يتفوه به، فقالت: إنك لمصدق. فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك؟ قال: " لا. ما زال ملك يسترني حتى ولت".[١]

فمن هنا يمكن القول إن ســيد قطب احتاط من الإســاءة للمرأة بما يعيبها غير ما ذكره القرآن الكريم حفاظا على حرمة المرأة وكرامتها، والبعد عن التعدي عليها حيث لم يذكر عن الأمور الســلبية عنها إلا عند وجود نص ودليل وهذا يشــير إلى تمســكه بالنص القرآني تمســكا يوضــح المعنى ولا يتعدى على الشخصية.

ولذلك من أبرز سمات الشــخصــيات الإيجابية في القصــة القرآنية التي نلحظها من خلال تفسير سيد قطب النماذج الآتية:

أ- نموذج المرأة المسلمة المؤمنة المحررة من كل قيد ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد غير الله سبحانه وتعالى. هذا النموذج الملتزم بأمر الله تعالى فقد رفعها الله تعالى إلى المكانة الرفيعة مســـاواة بالرجال المؤمنين. فالرجل المؤمن الذي يعتقد بعقيدة صــحيحة هو المحرر من غير الله وكذلك النســاء المؤمنات. وتبرز هذه السـمة في تفسـير سـيد للآيات المتحدثة عن امرأة عمران حين نذرت ما في بطنها محرراً لله تعالى، يقول ســـيد، "وهذا الدعاء الخاشـــع من امرأة عمران، بأن يتقبل ربها منها نذرها- وهو فلذة كبدها- ينم عن ذلك الإســـلام الخالص لله، والتوجه إليه كلية، والتحرر من كل قيد، والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه"[٢].

ولم ينته الموقف هنا، بل يســـير حتى يذكر طبيعة الأم التي تدعو إلى الله لحماية ابنتها إيماء على الاعتصـــام الكامل لله وحده، "﴿وَإِنِّي أُعِيذُها بِكَ. وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّـــيْطانِ الرَّجِيمِ﴾(آل عمران:٣٦)وهي الكلمة الأخيرة حيث تودع الأم هديتها بين يدي ربها، وتدعها لحمايته ورعايته، وتعيذها به هي وذريتها من الشيطان الرجيم..

---

[١] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٦، ص٤٠٠١. أخرجه مسند البزار البحر الزخار، مسند أبي بكر الصديق – ﷺ – ، باب ما روي عبد الله بن عباس عن أبي بكر، رقم الحديث: ١٥، ج١، ص٦٨. قال أبو بكر: هذا الحديث حسن الإسناد.

[٢] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٩٢.

وهذه كذلك كلمة القلب الخالص، ورغبة القلب الخالص. فما تود لوليدتها أمراً خيراً من أن تكون في حياطة الله من الشيطان الرجيم! ﴿فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً﴾ (آل عمران:٣٧)جزاء هذا الإخلاص الذي يعمر قلب الأم، وهذا التجرد الكامل في النذر" [١].

ومن هنا يبدو التوحيد هو الصورة المثلى للتحرر، والحرية في الإسلام حق للفرد وحق للمجتمع على أساس الحرية المنضبطة والمنظمة من حيث لا يصطدم بحرية الآخرين ولا تتعدى الحدود التي وضعها الله لنا.

ولقد أعطى الإسلام كافة الحقوق للمرأة وأمر بحسن معاملة النساء أما أو أختا أو بنتا أو زوجة أو قريبة أو جارة أو غير ذلك، ونحن مطالبون بالإحسان إلى المرأة والرحمة والشفقة بها في كل حال.

ب – نموذج المرأة المؤمنة الخاشعة والمتواضعة لنعمة الله وفضله، وتفويض الأمر إليه كله. فالمؤمنة الصالحة دائما تشعر بالقناعة والرضا في كل شؤونها. وتشكر كل نعمة في السر والعلن، وقد ذكر سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى "﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾(آل عمران:٣٧)وهي كلمة تصور حال المؤمن مع ربه، واحتفاظه بالسر الذي بينه وبينه. والتواضع في الحديث عن هذا السر، لا التنفج[٢] به والمباهاة!"[٣].

وهذا مشهد من مشاهد المؤمنين في الأرض تملأ قلوبهم السكينة الهادئة التي تليق بالقلب المؤمن الموصول بربه والمطمئن بهذه الثقة كما قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى. وَكانُوا أَحَقَّ بِها وَأَهْلَها﴾(الفتح:٢٦)

ج – نموذج المرأة الأم الحنونة الرقيقة. فحب الولد فطرة إنسانية ورحمة من عند الله لكل الأمهات، وتبذل كل جهودها واستطاعتها لحماية أولادهاوإكمال حوائجهم. ووصف سيد قطب هذه الشخصية للمرأة من خلال قصة أم موسى وهو يذكر "مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح، وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور بردا وسلاما".[٤]

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] التنفج به: الافتخار؛ ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ص١٠٠٦.

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٣.

[٤] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٧٩.

يعبر سيد قطب في هذا المشهد حيث يرسم تخيل العواطف والانفعالات لأم موسى بعد ما ألقت طفلها إلى الماء، مرسوما من قوله تعالى "﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً. إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ. لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقالَتْ لِأُخْتِهِ: قُصِّيهِ﴾ (القصص:١٠)..لقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلى الماء. ولكن أين هو يا ترى وماذا فعلت به الأمواج؟ ولعلها سألت نفسها: كيف؟ كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذف به في اليم؟ كيف فعلت ما لم تفعله من قبل أم؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب؟"[١]. والتعبير القرآني يصور لنا فؤاد الأم المسكينة صورة حية: ﴿فارِغاً﴾لذلك يقول سيد قطب "لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف! ﴿إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾(القصص:١٠).. وتذيع أمرها في الناس، وتهتف كالمجنونة: أنا أضعته، أنا أضعت طفلي، أنا ألقيت به في اليم اتباعا لهاتف غريب! ﴿لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها﴾(القصص:١٠).. وشددنا عليه وثبتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشرود".[٢].

يبدو أن قدر الأمومة في كل زمان ومكان أن تعمل الأمهات أكثر مما تتكلم وتسلك طريقة رفيعة للتضحية أكثر مما يفصح عن الكلام كما وصفه الله تعالى لنا هذه القصة بأن أم موسى تخاطب بدون صوت وتصمت لخطاب لا تسمعه.

وكذلك في قصة امرأة فرعون، يظهر سيد قطب للقارئ صفة المرأة الحنونة المحبة للأطفال والتي تريد استرقاق قلب زوجها الغليظ على الأطفال لتأخذ الطفل وترعاه في بيتها يقول سيد قطب في ذلك: "ذلك الستار الرقيق الشفيف...لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال. حمته بالحب الحاني في قلب امرأة.... وتحدت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره.. وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف! ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾"[٣]

د – نموذج المرأة العفيفة التي تحافظ على عفتها ومروءتها عند لقاء الرجال. الحياء هو انقباض النفس عن القبائح وعن التفريط في حق صاحب الحق[٤]. وفي قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (القصص:٢٥) في قصة دعوة إحدى ابنتي الشيخ الكبير إلى موسى – عليه السلام – تعبير رقيق وتصوير

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٨٠.

[٣] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٧٩.

[٤] بصائر ذوي التمييز، ٥١٥/٢.

دقيق وصف عليه الفتاة من الحياء. وفي هذا التعبير القرآني إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه الفتاة المسلمة من الحياء، والحياء شعبة من الإيمان وزينة لمن لها به كما قال النبي -ﷺ-: "الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[١]. وفي قصة ابنتي الشيخ الكبير اللتين ضربتا لنا أروع الأمثلة في الحياء والطهر والعفاف والفصاحة. ونرى وصف سيد قطب لهذه الشخصية الحميدة بما يقول: "فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح لا التلجلج والتعثر والربكة. وكذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة. فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب. الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب، ولا تزيد"[٢].

ويضاف إلى ذلك ما عبر به سيد قطب من خلال المشهد عن الانفعالات والعواطف للفتاة التي تضطر إلى الخروج لسقاية الأنعام ويشير أيضا إلى الحياء الذي لا يمنعها من إظهار موقفها الخاص بموسى- عليه السلام – ولذلك نرى سيد قطب ذكر: "إنها وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال. وهي تتأذى وأختها من هذا كله وتريد أن تكون امرأة تأوي إلى بيت امرأة عفيفة مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى. والمرأة العفيفة الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، لا تستريح لمزاحمة الرجال، ولا للتبذل الناشئ من هذه المزاحمة.... وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشى سوء الظن والتهمة. فهي بريئة النفس، نظيفة الحس ومن ثم لا تخشى شيئا، ولا تتمتم ولا تجمجم وهي تعرض اقتراحها على أبيها"[٣].

هـ – نموذج المرأة التي تكره الحرب. وصف سيد قطب بأن المرأة تكره الخصومة والمقاومة وهذا أمر فطري مناسب لطبيعة المرأة والدور الذي كلفت به في الحياة. ولهذا يقول سيد في تفسير قوله تعالى: ﴿قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (النمل:٣٢)، "وفي هذا تبدو سمة الملكة الأريبة فواضح منذ اللحظة الأولى أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء. وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه

---

[١] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم الحديث:٩، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان

[٢] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٨٧.

[٣] سيد قطب، **تفسير في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٦٨٧.

(كريم) وواضـــح أنها لا تريد المقاومة والخصـــومة، ولكنها لا تقول هذا صـــراحة، إنما تمهد له بذلك الوصـف. ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشـورة! وعلى عادة رجال الحاشـية أبدوا اسـتعدادهم للعمل. ولكنهم فوضـوا للملكة الرأي﴿قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَـدِيدٍ. وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ماذا تَأْمُرِينَ﴾(النمل:٣٣).وهنا تظهر شخصية (المرأة) من وراء شخصية الملكة. المرأة التي تكره الحروب والتدمير. والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تنضي سلاح القوة والمخاشنة"[١].

وهذا الســـلاح يتفق مع طبيعتها الأنثوية فالمرأة لا تقوى في كثير من الأحيان على المواجهة الصريحة والحماسة والمحاربة.

و- نموذج المرأة المسـؤولة على نفسـها على مبدأ التبعية الفردية. يتجلى في التحريم التي نزلت تعقيبا على ما حدث في بيت النبوة، حيث حرم رسول الله- ﷺ- على نفسه شيئا مما أحله الله له، إن مبدأ التبعية الفردية يراد إبرازه في الســـورة جاء بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار كما في الآية ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً﴾ (التحريم:٦) والآية التي تليها تتحدث عن نساء كافرات في بيوت أنبياء الله الصـالحين كما تتحدث عن نسـاء مؤمنات في وسـط مجتمع كافر:﴿ضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ، كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صـــالِحَيْنِ، فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، وَقِيلَ: ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (التحريم: ١٠-١٢).

فالإشارة القرآنية هنا تعني حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص. والأشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة، ولهذا ذكر سيد قطب في وصف شخصيات المرأة لهذه الآيات، "كما يراد أن يقال لأزواج النبي- ﷺ- وأزواج المؤمنين كذلك: إن عليهن أنفسـهن بعد كل شـيء. فهن مسـؤولات عن ذواتهن، ولن يعفيهن من التبعية أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين!..

فلا كرامة ولا شفاعة في أمر الكفر والإيمان. وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء! وها هي ذي امرأة فرعون، لم يصـدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه.. في قصـر فرعون.. عن طلب النجاة وحدها.. وقد تبرأت من قصـر فرعون طالبة إلى ربها بيتا في الجنة. وتبرأت من صـلتها بفرعون فسـألت ربها النجاة منه"[٢].

---

[١] المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٤٠.

[٢] سيد قطب، تفسير في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٦٢١.

ونلحظ أن سيد قطب اهتم بإبراز شخصية المرأة الإيجابية من السلبية من خلال اهتمامه بالتصوير الفني في القصص القرآني. وهو أيضا لم يرسم كل شخصيات المرأة في القصص القرآني إلا الشخصية التي تعطي أثرا واضحا للواقع.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

Al-Khatib, A. Karim. (1964). *Al-Qaṣaṣ* al-Qurāni fi Mantuqat wa Manṭuqatih. Kaherah: Maṭba'at al-Sunnah al-Muḫammadiyyah.

Hijāzī, M. Muḫammad M. (1970). *Al-Qaṣaṣ* al-Qurāni fi al-Qurān al-Karīm. Mesir: Dār al-Tafsīr.

Al-Khālidī, Salāḫ. (1998). *Al-Qaṣaṣ* al-Qurāni: 'Ard. Waqāi' wa Taḫlīl Aḫdāth. Damsyiq: Dār al-Qalam.

Al-'Adwī, Muḫammad K. M. (1988). Ma'ālim li Qiṣṣat fi al-Qurān al-Karīm. Ammān: Dār al-'Adwī.

Tanṭawi, M. Saīd. (1996). *Al-Qiṣṣah* fi al-Qurān al-Karīm. Meṣir: Nahḍah.

Abbās, F. Hassan. (2000). *Qaṣaṣ* al-Qurān al-Karīm. Amman: Dār al-Furqān.

Abduh, I. M. Balbul. (tt). *Al-Qaṣaṣ* al-Qurānī. PhD Thesis. Universiti Al-Azhar, Kaherah, non-published thesis.

Al-Duqqur, S. M. (2012). Al-Manhaj fi Al-Qaṣaṣ al-Qurānī. Ammān: Dār al-Qaṭuf li al-Nasyr wa al-Tauzī'.

Al-Khatib, A. Al-Kuri. (1974). Qiṣṣatā Adam wa Yūsuf 'Alaihima al-Salām. Kaherah: Dār al-Fikr al-'Arabi wa Maṭba'ah al-Madani.

Quṭb, S. (1982). Al-Taṣwīr al-Fannī fi al-Qurān al-Karīm. Kaherah: Dār al-Syuruq.

Quṭb, S. (2004). Tafsīr fi Zilāl al-Qurān. Kaherah: Dār al-Syuruq.

Darrāz, M. A. (1997). Al-Naba' al-'Aẓim. Kuwait: Dār al-Qalam.

Tanṭāwī, S. (1997). Tafsīr al-Wasīt. Kaherah: Dār Nahḍah Miṣr li al-Tibāah wa al-Nasyr wa al-Tauzī'.

Al-Sa'di, A. N. (2000). Taisīr al-Karīm al-Rahmān fi Tafsīr al-Kalām al-Mannān. Muassasah al-Risālah.

Al-Rāzi, Ibn Fāris. A.Z. (1977). Maqāyis al-Lughah. Dār al-Fikr.

Al-Bukhārī. (2002). Saḫiḫ al-Bukhārī. Dār Tuq al-Najāḫ.

Al-Fairuzabādi. (1996). Baṣāir Zawi al-Tamyīz fi Laṭaif al-Kitāb al-'Azīz. Kaherah: Lajnah Iḫyā' al-Turāth al-Islāmī